"جبل الروح" لـ جاو كيسنغ جيان : البحث عن ينابيع الحكمة الصينية

لم يدر في خلد ذلك الناشر الفرنسي " المغمور " الذي قبل على مضض نشر رواية جبل الروح للكاتب الصيني جاو كسينغ جيان المغمور بدوره أن هذا الأخير سينال يوما (بعد عقد و تحديدا في عام ٢٠٠٠) ارفع جائزة أدبية في العالم ألا و هي جائزة نوبل ليتباهى بأنه يملك عبثا ثاقبة تميز الأدب الجيد من الأدب الرديء ،بصرف النظر عن الاعتبارات و الشكوك التي تكتنف الجائزة ،و بأنه أول من قدم هذا الأديب الى العالم الغربي و " الذي استحق الجائزة لمجموع أعماله ، التي تصلح لكل زمان ومكان، وتغلغله في عمق المشاعر الإنسانية و ابداعه اللغوي مما فتح آفاقا جديدة لفن القصة والمسرحية الصينيين " كما جاء في حيثيات قرار الأكاديمية الملكية السويدية التي منحته الجائزة.

دمشق ـ ابراهيم حاج عبدي

كسينغ جيان روائي ومسرحي ورسام ولد في الرابع من يناير ١٩٤٠ بإحدى مقاطعات شرق الصين لأب محاسب وأم ممثلة حاز في مطلع الستينيات على شهادة في اللغة الفرنسية وآدابها من معهد اللغات الأجنبية في بكين فاطلع على الأدب الفرنسي في لغته الأم و تأثر بالأدب الطليعي الفرنسي و خصوصا مسرح العبث و اللامعقول وقام بترجمة أعمال جاك بريفير و صموئيل بيكيت و يوجين يونيسكو و سواهم إلى اللغة الصينية و وجد في نفسه ميلا إلى الاتجاهات الثورية الرافضة والتمردة في ظل واقع ينظر إلى مثل هذه الميول على أنها مدمرة و نشر أولى مسرحياته في الثمانينيات بعنوان (موقف الباص) تحت ذلك التوجه فاعتبر ها عراب الثورة الثقافية عملا عبثيا يستحق عليها الرجم فرجم بالفعل حين أرسل عنوة إلى الأرياف لإعادة "تأهيله" إذ شملته، عام ١٩٨٣ ، حملة " مكافحة التلوث الثقافي" التي مارستها الصين و بلدان شيوعية أخرى لم تنظر إلى الأدب الابوصفه دعاية فجة لمقولات النظام السياسي و رواد و توجهاته و كل من حاول التجريب أو الخروج على المسار الرسوم بدقة ،فهو "منشق ، ويميني، و رجعي" لا بد من ردعه و إسكات صوته.

وسط هذا المناخ الخانق دافع كيسنغ جيان بحماس عن الحداثة في الأدب و دعا إلى تطوير الأشكال الكتابية و إلى لغة و أسلوب مجردين من تأثير السياسة و خاض معارك فكرية في السبعينيات و الثمانينيات جعلته "شخصا غير مرغوب فيه" ، و بعد أن اجبر خلال الثورة الثقافية التي بدأت عام ١٩٦٦ على حرق و إتلاف مخطوطات المسرحيات و الروايات التي كتبها سابقا نشر اعتبارا من عام ١٩٨٢ مسرحيات جديدة ، "إنذار بالخطر" و " الرجل المتوحش" و غيرهما و قد منعت عروض مسرحياته على مسرح الفن في بكين حتى وصل إلى درجة لم يعد يحتمل معها البقاء في بلاده التي لا تعترف سوى بـ "اللون الأحمر" في الأدب و في باقي جوانب الحياة فغادرها إلى باريس عام ١٩٨٨ و في عام ١٩٨٩ احتج بشدة على أحداث ساحة تيان مين الشهيرة (ساحة السلام السماوي) التي شكلت "قشة قاصمة لظهر "علاقاته مع الحزب الشيوعي في الصين و لم يشكل النفي عذابا للكاتب ذاق مرارة إجراءات "الرفيق "فنحن نتحدث هنا عن باريس التي أتاحت له أن يكون على صلة مباشرة مع العالم الثقافي الغربي فتأثر به و حاول أن يؤثر فيه عبر مسرحياته و معارضه التشكيلية و روايته الأشهر جبل الروح التي صدرت ترجمتها العربية ضمن سلسلة "مكتبة نوبل "بتوقيع د. أنطون حمصي عن دار المدى (دمشق ٢٠٠٢) و هي الترجمة الثالثة للعربية (اثنتان في دمشق و واحدة في القاهرة) بحسب علمنا.

تشكل رواية "جبل الروح" عملا فريدا في الشهد الأدبي المعاصر" على حد قول نوبل دوتريه في تقديمه لها و لعل الفرادة هنا نابعة من سرديتها المختلفة إذ تغيب الحدود فيها بين الوهم و الحقيقة ،بين الواقع و التخيل كما أنها تتمتع بخصوصية المكان و العوالم و الأجواء التي يستحضرها الروائي بمذاق خاص ، مذاق الخوف و العزلة و الإقصاء فيصغي إلى صوته الداخلي المخنوق و يروي لحنين إلى أساطير الحكمة الصينية و منابع المعرفة الصافية غير الملوثة في محاولة للبحث عن النقيض للثقافة " الجوفاء " التي يروجها سلسة هذي البلاد و التي تشكل في رأي الكاتب قطيعة مع التراث الصيني الزاخر بالميثولوجيا و الرموز الدلالات مثلما يتبدى في أفكار و تعاليم الحكماء و الفلاسفة الصينيين و لعل أبرزهم كونفوشيوس ، و لاوتسه الذي عاش في أواسط القرنين السادس و الخامس قبل الميلاد و يبدو من خلال صفحات الرواية أن هذا الحكيم الصيني (لاوتسه) هو المثل الأعلى للروائي فقد تكاملت على يده مبادئ الفلسفة التاوية التي تنص على أن " خير الإنسان يتحقق عندما يوائم حياته مع الطبيعة و يكف عن مناقضتها و بذلك يكون قد حقق الانسجام مع التاو أو الطريق الكوني و التاوي عموما يتمتع بمحبة لا متناهية للكون و لكل ما يعيش فيه . و كل شكل من أشكال التدنيس أو التدمير هو أمر يعده التاوي معاديا و يجب الوقاية منه " و لعل هذا ما يقوم به كيسنغ جيان في روايته جبل الروح.

فالرواية التي استغرقت كتابتها سبع سنوات (٤٣١ صفحة ،القطع متوسط) هي رحلة في تضاريس الجغرافية الصينية المترامية الأطراف ، الزاخرة بالغرائب و الدهشة غير أن هذا لا يعني بأن الرواية تنتمي إلى أدب الرحلات التي تكتفي بتدوين المشاهدات ، بل تغوص في عمق هذه المشاهد و المناظر و العابد لتستدرك الدلالات و الرموز و الإشارات و التحولات و التبدلات حيث يعيد الكاتب بناء المكان على صورته و وفق حالته النفسية و تخيلاته . إنها تفاصيل غنية لرحلة يقوم بها الراوي. الرواة إلى جبل يسمى جبل الروح " حيث يمكن رؤية روائع تساعد على نسيان الرء آلامه و الحصول على الخلاص "فهل ضل الطريق ؟ كما يهجس لنفسه ، " لك لم تمنح ثقتك إلا لمسار مخربش على علبة سجائر مخبوءة في قطار " و لكن لا ضير "فالمسافر الأسمى هو الذي لا هدف له".

إنها رحلة بحث للتطهر من دنس الحياة و في بحثه هذا يرى و يسمع و يشاهد الكثير من ملامح و تفاصيل الحياة على تلك الأرض البكر و الغابات العذراء و الدروب الوعرة ليدون بشغف كل ما يقع تحت بصره كفنان تشكيلي وظف خبراته في هذا المجال ليحول الرواية إلى ما يشبه السيناريو السينمائي الذي يصلح للتصوير تماما و كذلك يمكن اعتبارها موسوعة صينية تحفل بأسماء الأمكنة و الأنهار و الجبال و القرى و المقاطعات و البلدات و تتضمن حوارات مع القرويين البسطاء و الكهنة و الرهبان البوذيين و رجال الدولة الرسميين و الباعة و الفلاحين و النساء الجميلات ليتاح لكل من هؤلاء سرد حكايته و قصته التي تشكل في مجملها تمهيدا لرسم ملامح حياة موازية نفسية "كان علي أن أغادر محيطي اللوث و أعود إلى الطبيعة سعيا وراء حياة حقيقية كتاويا يعلموني في بيئتي أن الحياة نبع الأدب و أن الأدب يجب أن يكون وفيا للحياة وفيا لحقيقتها و غلطتي كانت بالضبط أني ابتعدت عن الحياة أني مضيت ضد حقيقتها".

و هو هنا يحاول العثور على تلك الحقيقة المختبئة في ثنايا الصخور و ذرى الجبال و فناء العابد و ضفاف الأنهار و في صفحات تاريخ الصين الموغل في القدم ،السلالات الحاكمة، الحكماء الصينيون ، الشعراء ، الرسامون ، الحاربون ، الأساطير و وهج الحب و الحكمة الدائمة في إيقاع الأغاني الفلكلورية و الطقوس التي يمارسها إلى الآن أولئك الرجال المحظون بفطريتهم و غريزتهم ضد كل ما لا يتوافق مع خارطة أرواحهم الخانقة للبرينة و العنيدة و يمزج كل ذلك بشذرات من الذاكرة التي اختزنت قرار القوات اليابانية الغازية من الصين ليعيد في النص إنتاج ذكريات صباه و طفولته في صور مشبعة بالحنين.

لا يستند الكاتب إلى حبكة تقليدية و لديه مقدرة مدهشة على الوصف " هذه العجوز التي فقدت أسنانها ، و تغضنت بشرتها كلفت في الماء الملح ،كمومياء حية ، تنظر إلى بعيد جالسة على عتبة بابها و التي لم يبق يتحرك في أعماق محجريها سوى حدقتيها الطفلتين " و كذلك "لم تكن ذات جمال عادي ،كان لها وجه مستدير تماما و فم صغير كالكرزة و حاجبان كأوراق الصفصاف و عينان يقطنان لوزيتان ". و ليس ثمة شخصيات روائية بالمعنى التقليدي فالبطولة هنا هي للضمائر التي لا اسم لها ، " هو "، "هي"، "أنا"، "أنت" و ليست هذه الضمائر سوى تنويعات مختلفة لصوت الراوي الأوحد. الروائي .فالأدب كما يقول كيسنغ جيان " ولد أولا ، من احتياج الكاتب إلى تحقيق ذاته و أن الحديث مع النفس هو نقطة بداية الأدب و أن الكاتب لا يعبر عن نفسه كناطق بلسان الشعب و لا كمجسد للعدالة ،فالأدب ليس سوى صوت الفرد" و يقول عن هذه الرواية ، "لقد ضبطت جميع قصصي على إيقاع الرجعية العرقية لبلادي الأم" إذ يبحر بطل الرواية إلى الأصول الجغرافية للثقافة الصينية التي سبقت كونفوشيوس و لاوتسه مرورا بالمراحل التي تلت .وصولا إلى ذلك الجبل الأسطوري ، جبل الروح. الوجه النقيض للشعارات الهزيلة التي أطلقها الزعيم الصيني الراحل صاحب الثورة الثقافية ماو تسي تونغ ضد "العباقرة الشريرين الذين يجب تصفيتهم "على حد تعبيره!!

ـ الرواية : جبل الروح.
ـ الكاتب : جاو كسينغ جيان.
ـ المترجم : د. أنطون حمصي.
ـ الناشر : دار المدى للثقافة والفنون ، دمشق ـ ٢٠٠٢

حياة الشطارة مفتاح تجربة محمد شكري

في لقاء ثقافي جمع مؤخرا مثقفين مغاربة لمناقشة تجربة محمد شكري الروائية تركزت مداخلة الكاتب والناقد المغربي عبد الحميد عقار حول تفضيل تجربة شكري الروائية من حيث تميزها في العالم العربي واعتبارها "ظاهرة".

وأرجع عقار نجاح هذه التجربة إلى تزاوج فكرة الاستدراك عند شكري باعتباره لم يتعلم القراءة والكتابة إلا بعد أن تجاوز سن العشرين "وهو ما يجعله يشعر بأن له القدرة على الإضافة" مع فكرة البيكارو التي جعلته متحررا من القيود متحللا من الروابط كيفما كانت طبيعتها.

فشكري لم يكن يشعر بالذنب تجاه الآخرين كونه مثلا لم يستطع الاندماج مع امرأة أو مع الآخرين في مجتمعه تلبية عن تحرره من الشعور الديني بحيث لا يشعر بتأنيب الضمير أو "بالحاجة إلى الذهاب إلى المسجد أو إلى الكنيسة لطلب الغفرة. ووجود رغبة معلنة صريحة في فرض إرادته على الآخرين قد تكون مستمدة من كونه بيكارو يعيش ضد تيار المجتمع وعلى هامشه وعلى النقيض معه فربما شكري آخر البيكاريين في القرن العشرين".

ويقول شكري بخصوص تحرره من عقدة الذنب في احد حواراته الصحفية انه لم يقصد "توظيف مشاهد الجنس للإثارة او التهييج.. وانما شخاص سيرتي الذاتية غير راضين عن وضعيتهم اللا اخلاقية لانهم لا يمارسون افعالهم فيها جابل تحت قهر اجتماعي مزر. ان حياتهم يتأجر بها وبذلك يفقدون قيمهم الانسانية".

وفي حين منعت رواياته لمدة طويلة في المغرب وفي العالم العربي لقيت رواجا وشهرة لا مثيل لها في المغرب خاصة بعد ان ترجمها الى الانكليزية الكاتب الامريكي بول بولز الذي كان يقيم في طنجة والى الفرنسية الكاتب المغربي المعروف لدى الفرنسيين بكتاباته بلغتهم الام الطاهر بن جلون، وتلقى عدة عروض لاخراج "الخبز الحافي" في مسرحية وفلم سينمائي. لكن شكري نفسه كان منزعجا من النجاح الكبير لتجربة الخبز الحافي وظل الحلم الذي يراوده الى ان فارق الحياة منذ حوالي شهرين دون ان يتخلص من هذا النجاح.

قال شكري في احد احاديثه "اريد قتل الشهرة التي منحتني إياها الخبز الحافي. لقد كتبت زمن الاخطاء ولم تمت وكتبت وجوده ولم تمت. ان الخبز الحافي لا تريد ان تموت وهي تحققني. اشعر انني مثل أولئك الكتاب الذين سحقتهم شهرة كتاب واحد شأن سرفانتس مع دون كيخوته او فلوبير مع مدام بوفاري او دي إتش. لورانس مع عشيق الليدي وتشارلي. فالخبز الحافي لا تزال حية رافضة ان تموت ابدا عاهرة. الاطفال في الشوارع لا ينادونني شكري بل ينادونني لخبز الحافي".

ـ رويتر ـ

يصورها في هذه الرواية بجرأة غير مسبوقة اتهمه بعدها عدد من المغاربة والعرب "للحفاظين" بالزندقة والصعلكة ومنعت الرواية لسنوات طويلة في المغرب وفي عدد من الدول العربية خاصة النسخة العربية منها. ولم يرفع عنها الحظر في المغرب الا منذ اربع سنوات.

وعن هذه الرواية قال شكري في احدى حواراته الصحفية انه لم يقصد "توظيف مشاهد الجنس للإثارة او التهييج.. وانما شخاص سيرتي الذاتية غير راضين عن وضعيتهم اللا اخلاقية لانهم لا يمارسون افعالهم فيها جابل تحت قهر اجتماعي مزر. ان حياتهم يتاجر بها وبذلك يفقدون قيمهم الانسانية".

وفي حين منعت رواياته لمدة طويلة في المغرب وفي العالم العربي لقيت رواجا وشهرة لا مثيل لها في المغرب خاصة بعد ان ترجمها الى الانكليزية الكاتب الامريكي بول بولز الذي كان يقيم في طنجة والى الفرنسية الكاتب المغربي المعروف لدى الفرنسيين بكتاباته بلغتهم الام الطاهر بن جلون، وتلقى عدة عروض لاخراج "الخبز الحافي" في مسرحية وفلم سينمائي. لكن شكري نفسه كان منزعجا من النجاح الكبير لتجربة الخبز الحافي وظل الحلم الذي يراوده الى ان فارق الحياة منذ حوالي شهرين دون ان يتخلص من هذا النجاح.

قال شكري في احد احاديثه "اريد قتل الشهرة التي منحتني إياها الخبز الحافي. لقد كتبت زمن الاخطاء ولم تمت وكتبت وجوده ولم تمت. ان الخبز الحافي لا تريد ان تموت وهي تحققني. اشعر انني مثل أولئك الكتاب الذين سحقتهم شهرة كتاب واحد شأن سرفانتس مع دون كيخوته او فلوبير مع مدام بوفاري او دي إتش. لورانس مع عشيق الليدي وتشارلي. فالخبز الحافي لا تزال حية رافضة ان تموت ابدا عاهرة. الاطفال في الشوارع لا ينادونني شكري بل ينادونني لخبز الحافي".

ـ رويتر ـ

تعقيب

بغداد ـ الجزائر ـ بغداد
رحلة محفوفة بالمكائد والمؤامرات

طالعتنا صحيفة المدى بمقال للسيد عبد الزهرة زكي تحت عنوان (عرسان والوفد الذاهب اساءا لكرامتنا) تضمن مقولات كثيرة بعضها ينتمي الى خانة عدم الفهم، وبعضها الآخر يدخل في باب التحامل وسوء النية، وان كان اصدقاء الكاتب في الهيأة التحضيرية يتمنون ان يكون المقال داخلا بجملته في الخانة الاولى، ولولا شعورنا بان ترك القضية بلا توضيح ربما يثير بعض اللبس، لما تجشمنا عناء الرد لما رأيناه من تناقض وتهافت يجعلان المقال المذكور يرد على نفسه بنفسه.

ولعل غيرنا ممن قرأوا مقال السيد عبد الزهرة لاحظوا انه قدم لعرسان ولمن يقفون وراءه خدمة جليلة لا يمكن ان يقدمها له اكثر تابعيه اخلاصا واكثرهم قدرة على التضليل، وقادهم الامر الى الزعم بان السيد عبد الزهرة -كعادته- نفذ امرا صدر اليه باسكات الاصوات المنددة بعرسان وموقفه، ولكن هذه المرة -كما يؤكدون- جاء الامر من وراء الحدود، محاولات قلب للعادلة لصالح عرسان ضد ابناء العراق حتى ينشغل الوسط الادبي بتوجيه اللوم والانتقاد الى زملائهم في الهيأة التحضيرية والانصراف عن عرسان بعد ان باء بالخزي والهانة، وما اللغة الانتقادية اللخفضة التي وجهها الى عرسان الا نزر للرماد في العيون لإبعاد الشبهات التي قد ترد عليه في هذا الشأن، وان كنا فكرنا ان يكون صديقنا عبد الزهرة على هذه الدرجة من السوء.

يورد الكاتب حجة للسيد عرسان بالقول (ان الموقف الذي اتخذه السيد علي عقلة عرسان ومعه اغلبيته العامة من الوفد الذاهب باسم ادباء العراق هو موقف مشروع) ويؤكد (نعم هو موقف مشروع استنادا الى قوانين الاتحاد ولوائح عمله) ونرى انه يتحدث بيقين عن شرعية اجراء عرسان استنادا الى قوانين الاتحاد ولوائحه متغافلا عن ان عرسان ضرب هذه القوانين واللوائح بعرض الحائط وجدد لنفسه البيعة (أمينا عاما) لمرة ثالثة متذرعا بأسباب سياسية ومخالفا القوانين واللوائح التي لا تجيز تولي الامانة العامة اكثر من دورتين، ويتجاوز الشرعية بإعادة اتحاد الكتاب و(الصحفيين!!) الفلسطينيين في الاراضي المحتلة بعد سبع سنوات من التعليق بحجة كونهم تحت الاحتلال (لاندري إن كانت فلسطين قد تحررت دون علمنا يقرر عرساني) واستبعد اتحاد الكتاب الفلسطينيين خارج الاراضي المحتلة مستعملا سلطاته غير الثقافية، حين احرجنا موقفه الانتخابي وهززنا ثقة الوفود العربية به، لجأ الى التدليس في (اللوائح والقوانين) باستحداث منصب الرئيس ليحتفظ هو بكرسي الامانة العامة، هذا فضلا عن تجاوزه في اقتراحه دعوة أدباء أفراد من العراق (نجمان ياسين وسامي مهدي) لتمثيل العراق في المؤتمر.. وبعد هذا الرقم القياسي من التجاوزات نبارك لكاتب المقال دفاعه عن شرعية موقف عرسان.

يشير الكاتب الى ان الوفد (قدم خدمة ربما كان يتمناها من هو في وضع عرسان للتعبير عمليا عن رأيه السياسي وفرض هذا الرأي على مضيفيه الجزائريين وعلى الاتحادات العربية..) ونؤكد ان عرسان حتى على نفسه باتخاذه (بحملة) هذا الموقف، اذا فضح وفدنا كتب عرسان وزيف ادعاءاته وضعف حججه وعدم قدرته على مواجهتنا مما قلب المائدة في وجهه وكان سببا في عودته خائبا بخفي أمانة عامة هزيلة خسرت (مجدها) بتولي الجزائر رئاسة الاتحاد، وبعد ان كان يعود الى بلاده باكاليل الثقة، عاد هذه المرة مجللا بعار خيانة الامانة، وحسب الكاتب ان يطلع الى البيانات والاستقالات الجماعية التي قدمها الادباء (الشرفاء.. نؤكد الشرفاء) عربا وعراقيين من اتحاد الكتاب العرب تضامنا مع موقفنا وشجبنا لممارسات عرسان التي اصبحت أمثولة للتبعية السياسية العمياء.

ونحن هنا نتساءل: كيف اسأنا الى (كرامة الادباء العراقيين وايلائهم وترفعهم عن وضع مهين كالذي وضع فيه السيد عرسان الذاهبين ووضعوا هم انفسهم فيه) ولماذا تسربت الامانة والخزي الى نفس الكاتب دون غيره؟ في الوقت الذي دفعت (الغيرة على الوطن) كثير أمن الادباء داخل العراق وخارجه الى مواقفهم التي وقفوها يبدو ان الاجابة على هذه التساؤلات لها جذورها في ولاءات الكاتب وارتباطاته، اما الحديث عن الوضع المهين، فان إطلالة بسيطة على الصحف الجزائرية والعربية التي اصبحت قضية الوفد العراقي شغلها الشاغل كفيلة بإزالة غشاوة الجهل عن عيون الكاتب المذكور، ليتبين من الهان ومن الظافر في ذلك المؤتمر.

ويستمر الكاتب في دفاعه عن عرسان بطريقة موارية محاولا التحريض على وفد الاتحاد قائلا: (إذا كان واضحا موقف السيد علي عقلة عرسان فان ما ينبغي التركيز عليه هنا هو الموقف من زملائنا الذين ذهبوا باسمنا جميعا من دون ان نخولهم بذلك) ويبدو ان الكاتب نسي او تناسى انه وفد بأمر من سري الصيت هاني وهيب رئيس الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق (كمنظمة موجودة وذات كيان وهيأة عامة) كما يقول، الى سوريا من دون ان يخوله احد من الادباء بذلك، عدا هاني وهيب وبطانته في وقت كان فيه السفر الى سوريا يشبه الاستحيل، وكان العراقيون ومنهم الادباء يعيشون داخل سجن النظام، ولعل الكاتب عانى من حالة إسقاط نفسي حين قال ان اتصالات الهيأة التحضيرية بعرسان جرت (بطريقة مخزية ومهينة) وهي ما نعتقد انها الطريقة التي عومل بها هناك.

وينلاش الكاتب نفسه بالقول تارة ان اتحادات الادباء لا تتشكل (الا من ادباء حكومات الامر الذي يجعل من ذهاب الهيأة التحضيرية تعبيرا أصارخا عن جهل سياسي وتعبير آخر عن جهل بحيثيات العمل الاتحادي يريدون احترافه) ويعود ليذعن لحسه المؤسساتي القديم، فيقرر ان هذه الاتحادات ذات قيادات منتخبة (وتتمتع بتمثيل رسمي) ولا ندري مع أي الفريقين يريدنا الكاتب ان نكون، أمع المحترمين الذين (تعينهم) السلطات كما كان يحدث مع الهيأة السابقة ومجلسها المركزي الذي ظل (يتشرف) هو بالانتماء إليها؟ أم مع القيادات التي لنا الشرف في الانكون مثلها او على غرارها.

ان ما ذكره الكاتب ينم عن جهله بالعمل الاتحادي- على الرغم من طول مصاحبته لهاني وهيب وصلاح المختار وسلمان زيدان وصاحب مهزلة التجمع الثقافي الذي من عليه برئاسة الصفحة الثقافية في (بابل) ثم في (الجمهورية) فضلا عن جهله السياسي الذي نم عليه مقاله، وقاده جهله هذا الى الزعم بان (الهيأة التحضيرية تستطيع ان تسمي نفسها هيأة تحضيرية لأي اتحاد او رابطة او منظمة جديدة باستثناء ان تكون هيأة تحضيرية للاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق كمنظمة موجودة ذات كيان وهيأة عامة) وان اي مبتدئ في العمل السياسي والنقابي لابد ان يعرف بالبداهة ان التأسيس لمنظمة جديدة لا يمر بمرحلة تحضيرية وان انعقاد اي تجمع يعد اعلانا عن تأسيسه وبدئه العمل.

ويبدو ان الكاتب ما زال وفيا للمكتب المهني لحزب البعث المنحل، فهو يستنكر ان يتولى قيادة الاتحاد غير المنضوين تحت هذا الكتب والذين يملكون وحدهم (صلاحيات قيادة الاتحاد والتصرف باسمه) كما يقول.

ان اصول اللياقة والسلوك الثقافي الذي يمليه علينا ضميرنا الابداعي والنقابي فضلا عن مراعاة شعور اصدقاء الكاتب في الهيأة -تمنعنا من كشف الستور الذي (لم يعد مبررا السكوت عنه "كذا ورد في مقال الكاتب، والصحيح السكوت عليه).

يتحدث الكاتب عن الظروف التي تشكلت فيها الهيأة زاعما فهاظروف لا تسمح باسباغ الشرعية عليها، ونحن هنا نسأله اين كان الاتحاد عندما كانت هذه الظروف تهدد الاتحاد بالزوال نهائيا عن وجه بغداد اما بتحوله الى مجمع سكني، او مقر لجريدة او حزب.. الخ، وعلى اية مصلحة من مصالحه العاطلين كان ينتظر فرصة دولارية تنتشله من الفشل الذي كان يعانيه بعد زوال اولياء نعمته...

واستجابة للفرمان الذي املاه الكاتب على الاتحاد بالقول: (كان ينبغي للهيأة التحضيرية عدم التصرف بأية اجراءات عملية او مهنية او ثقافية لها صلة "او تعبير بصيغة من الصيغ" عن سياسة الاتحاد وتوجهاته) فاننا نرجو العراقيين ان يمحوا من ذاكرتهم مهرجان الجواهري الاول وتأبين عبد الوهاب البياتي والسياب وهادي العلوي وسامي محمد ونزار عباس وزاهد محمد ومحمود احمد السيد وحسين الرحال وعشرات الجلسات الشعرية والنقدية والفكرية فضلا عن كثير من اصدارات الخاصة بالادباء المتوفين والمتضررين، ناهيك عن اضعاف ذلك من انشطة فروع الاتحاد في المحافظات التي عادت الى العمل يقودها مجلس مركزي مؤلف من رؤساء الفروع والهيأة التحضيرية، كما ان علينا احراق جذاية الجواهري العظيم وتحطيم تمثاله النصفي الذي انجزه الفنان الكبير نداء كاظم دعما لمهرجان الجواهري، واحراق صور الادباء التي تزين قاعة الاتحاد، التي لم يرها الكاتب، وارجاع صورة الطاغية للهزوم التي كانت تفتح قاعة الاتحاد.

من يمتلك حق التصريح باسم الاتحاد؟ سؤال نطرحه على الكاتب الذي نعى علينا ذلك، ولماذا يحق لحمدي ان يصرح باسم الاتحاد في عمان ودمشق ويشوه الصورة الحقيقية التي يعلم بها الكاتب حق العلم ليقول بانه وضع السيد عرسان (بالصورة) في حين لا يحق لنا ذلك لاننا السنا من (مدمني العمل الاتحادي) المحظور من قبل الكاتب.

ويسقط الكاتب في تناقض آخر، إذ بينما يثر بمشروعية موقف عرسان وأمانته من وقدنا، يذكر في موضع آخر ان الطابع الحكومي لعمل الامانة والاتحادات المرتبطة بها (جعل خيرة زملائنا من الادباء العرب ونخبهم الاشراف خارج العمل الاتحادي) ونحن نعلم ان هذه النخب الاشراف قد اعلنت موقفها من الامانة في الوقت الذي كان الكاتب جزءا لا يتجزأ من سلطة الاقصاء التي مورست ضد تلك النخب، أما عن موقف الامانة (المتواطئ مع سلطة صدام) مع علمه به، فيجعله خارج ما وصف به هذه النخب.

ولم يخجل الكاتب من الكذب وهو يدعي بأن الهيأة التحضيرية تجاهلت إرادة الهيأة العامة باجراء انتخابات واعلنت تكرارا مواعيد لتلك الانتخابات ولم تلتزم بها، ولا ندري من خوله بالحديث نيابة عن الهيأة العامة، وهو يعلم تماما ان الموعد الذي كان مقررا إجراء الانتخابات فيه هو الثالث من تشرين الاول من العام الماضي وقد تم تأجيله لاسباب أمنية ولعدم توفر الإمكانية المادية لعقد المؤتمر فضلا عن التزامنا بقرار مجلس لحكم المؤقر بوصفه أعلى سلطة تشريعية حاليا الذي ينص على تأجيل الانتخابات في التنظيمات والنقابات والجمعيات، وحين رأينا ان مدة التأجيل قد تطول طلبنا رسميا استثناء الاتحاد من القرار المذكور (طيا نسخة من كتابنا الموجه الى مجلس الحكم عن طريق وزارة الثقافة) من دون الالتفات الى التخرصات التي اطلقها عرسان وتابعوه وردد ها ببيغائية مضحكة الكاتب المذكور بالقول (كان آخر تبريرات الهيأة في ارجاء اتها بان الحكومة "مجلس الحكم او سلطة الاحتلال لا أدري" لا توافق على اجراء أية انتخابات) ونحن نعتقد ان القوى الوطنية التي يتشكل منها مجلس الحكم هي قوة حرة لا تخضع لسلطة الاحتلال بل هي تقاوم الاحتلال بالطريقة السياسية التي تراها مناسبة، والضحك حقا هو جهل الكاتب المذكور بأن القرار لا يشمل الاحزاب والتجمعات التي تتشكل حديثا وتقيم مؤتمرات تأسيسية لها، ويصف موقفنا بالارتهان لإرادة الحكومة، وكأنه ظل مرتهنا لمن هو نيل من أنيال النظام الدكتاتوري (هاني وهيب ورعد بندر وغيرهما) فضلا عن ارتهانه الكامل لإرادة الحكومة في ما ينشر وما لا ينشر في صفحته الثقافية، وما خفي كان أعظم!!

أما زهده في الترشيح وعدم رغبته فيه فلا يدل على نزاهة فهو يعلم انه غير مسموح له بالترشيح كونه من نيول الاتحاد للتحلل والاتمنين على العمل الاتحادي استنادا الى قرار المجلس المركزي الحالي الذي ينص على عدم جواز مشاركة او ترشيح عضو المجلس المركزي السابق لاكثر من دورة، ولم تكن له موقف لصالح الادباء.

إننا ندرك تماما المقاصد التي حركت صديقنا كاتب المقال في الكثير مما كتبه، ولكن معرفة القصد وحدها لا تكفي للتغاضي عن اساءاته، ولسنا بحاجة الى شهادة منه على نبيل مقاصدنا وعلى فضيلة عملنا واجتهادنا لبناء حياة ثقافية جديدة نقترح عليه -لكي ينخرط فيها- ان يسمع القول فيتبع احسنه مهما كان هذا الأحسن جارحا ومؤلما.

الهيأة التحضيرية للاتحاد العام للادباء والكتاب العراقيين

رد على التعقيب

نعم.. عرسان والوفد الذاهب أساؤوا لأنفسهم ولنا!

لا أريد هنا ان اقدم (ردا) على التعقيب الذي قدمه الزملاء في (الهيئة التحضيرية) بصدد ما كتبته تحت عنوان (ماذا حدث في الجزائر.. ماذا يحدث في اتحاد الادباء. معا عرسان والوفد الذاهب اساء لكرامتنا).

ان الصيغة التي جاء عليها مقالي، والصيغة التي كتب بها مقال الزملاء تفصحان عن مستويين في وجهات النظر، لا يمكن ان يتفاعلا، وان يتوصلا الى نتائج ذات قيمة عملية.. صيغة طرح الحقائق من اجل تفادي سوء نتائجها وبروح منفتحة، وصيغة اخرى، تلتف على الحقائق، وتشوهها، وتبتز امكانية الحوار باللجوء الى لغة التخوين والإرهاب الكلامات.

اجدني مضطرا الى وضع اشارات سريعة، وقد فرغت توا من قراءة تعقيب (الهيئة التحضيرية)، وقبل دفعه الى النشر، بما هو عليه،

1. سأنظر الى كلام (التعقيب) عن تنفيذي اوامر واردة من وراء الحدود، على انه كلام متعجل ومنفعل.. ولن آخذه على محمل الجد.. وقد سبق ان اشملت كلاما يماثل هذا (ولكن مع الفارق فهو يعاكسه) حين نشر احد المثقفين عام (1995) مقالا في جريدة القادسية، يتهمني فيه (وزميلين آخرين) بالعمل مع المخابرات المركزية الامريكية وتنفيذ سياساتها الثقافية في العراق.. ان من المؤسف ان يتماثل الطرفان، (الهيئة التحضيرية) الجديدة وذاك المثقف القديم، ويتمعنان اي حوار، بهذه اللغة وبهذا الارهاب.

2. ان العودة الى قراءة مقالي كفيلة بتوضيح كيف ان (الهيئة) عمدت الى حرف موضوع بسيلفات خبيثة. وهذا وحده كاف للتدليل على العجز في التحاور في الموضوع الاساس، وعلى سعي كاتبي (التعقيب) الى ايهام القارئ وخداعه.

3. عمد (التعقيب) الى تشويه صورتي وموقفي باعتماد الكذب والصاق التهم الباطلة، وهو ما الترفع عن الرد عليه، ثقة بان هذه الصورة وهذا الموقف، مما اوضح للجميع، من تخرصات الضغائن وسوء النوايا وسواد الضمير الذي يطمر في ظلامه اوساخا ليس من مهمتنا النبش فيها!!

4. نقف مع هذا (التعقيب) على نمط استنجاد (المثقف) بقوة السلطة حينما تعييه الحيلة، وحين يستنهض في دخيلته روح الوشي النمام الخادع الذي لا يعبأ في دفع زميله، بالكذب والتزوير والنفاق، الى حافة الموت.

انها عقلية القمع والاقصاء التي يريد مدبجو (التعقيب) ان يعبروا بها الى الحياة الجديدة. والاكيف ميز بين من اودى بحياة اي مثقف معدوم بتقرير وشاية، وبين من سمح لنفسه وقلمه بكتابة ما كتب في هذا (التعقيب).

5. يختفي واضعو (التعقيب) خلف تسمية عامة هي توقيع (التعقيب) باسم الاتحاد، ليحجبوا اسماءهم وشخصياتهم عن مسؤولية الكلام غير السؤول الذي يشكل مادة اساسية في "التعقيب". وقد بات بحكم المؤكد ان الكثير من الزملاء الموجودين في الهيئة التحضيرية لم يطلعوا على (التعقيب) ولم يسهموا باي شكل فيه. ولقد يتحملون مسؤولية اخلاقية تفرض

يحمل هذا القدر من اللؤم والكذب والتشويه كما تفرض عليهم الوقوف لحازم ضد اشكال الاستبداد التي ينظر ديموجيبها فرد او مجموعة لينوبوا باتصرفاتهم عن زملائهم الآخرين، ويتحدثوا باسمهم، ولو خلف توقيعات عامة.

6. يتيح نشر (التعقيب) فرصة اطلاع الهيئة العامة من ادباء وكتاب العراق على هذه العقلية التي تفكر وتتصرف (وومع أول بادرة للاختلاف والحوار) باستخدام اسلحة التخوين واستعداء السلطة على المثقفين بالكذب والتدليس. وهي عقلية ليس من الصعب القول انها مازالت ملوثة باخلاق الزاحفين من مثقفي السلطة البادة، ومازالت تجد مثالها ورمزها في اولئك الزاحفين واخص الزاحفين بالذكر، لأني ما زالت اجد الشجاعة للقول ان بين مثقفي السلطة المنهارة من كان يتسامى على هذا السلوك الشين.

7. لن لم يطلع على مقالي (موضوع التعقيب) القول انه كان يتحدث حصرا عن خطأ ذهاب وفد عراقي (غير مدعو) الى مؤتمر الادباء العرب الاخير في الجزائر، وعن استغلال السيد علي عقلة عرسان لهذا الخطأ واساءته (هو والوفد الذاهب) الى كرامة الادباء العراقيين. وهو رأي مازلت مصرا عليه، وقد عبر العشرات من المثقفين العراقيين، ممن التقيتهم عن مثل هذه القناعة.

عبد الزهرة زكي